

الأمير حيدر احمد الشهابي

وتاريخه

الفرح الحسان في اخبار ابناء الزمان

يُصنف الاديبان الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، وفؤاد افرايم البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، بتحقيق نص تاريخ الأمير حيدر الشهابي وطبعه طبعة علمية ستظهر قريباً بعنوان « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » مؤلفة الحلقة الاولى من منشورات مديرية المعارف التاريخية. وتند هذا الاديبان الجمهور الجيئة في درس مخطوطات التاريخ المتعددة والتنقيب عن النسب المراتية الى عهد المؤلف. وعرضا نتيجة ابحاثهما في مقدمة صدرها بها القسر الاول من التاريخ المذكور. فرأينا اطلاق القراء الكرام على زبدة ذلك أخذين لهذا المدد ما يخص الأمير المؤرخ ، ولامدد القادر ما يظهر من مزايا تاريخه الكبير ، شاكرين للحكومة اللبنانية عنايتها باظهار ما يُعد من خير الاصول العربية لتاريخ لبنان .

١

مصادر البحث

نأسف انه لم يتصدّ لترجمة هذا المؤرخ اللبناني ترجمة مفصلة مطوّلة أحد من معاصريه . ونأسف ايضاً ان لا يكون لدينا من المصادر الاولية لهذه الناية سوى هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن ، وما ورد عن الأمير ومؤلفه في كتاب « الساق على الساق » ل احمد فارس الشدياق . ولا يخفى ما كان في قلب احمد فارس من الحقد على امراء لبنان ، وعلى الكنيسة المارونية في ذلك العصر . ولذا زانا مضطربين ان نتحفظ التحفظ التام في قبول شهادته على الأمير المؤرخ .

والنقد التاريخي الحديث يضطرنا ايضاً ان لا نقبل روايات الشعراء المعاصرين الا اذا توافق لدينا من شهادات غيرهم ما يزيكها فيعزز ما بها من حقيقة ، ويزيل عنها صبغتها الشعرية الخيالية من حيث التطرف في المدح ، والافراط في الاطناب ، والاقطار على ذلك في غالب الاحيان .

هذا وقد ورد شي. عن الأمير حيدر في المجلد العاشر من «دائرة المعارف»

المرية للبستاني . إلا أننا نعتقد أنه ليس المعلم بطرس البستاني ، صاحب الدائرة ، بل لشاكر شقير ، معاونه في العمل . وذلك بدليل ما نقله الينا - الاستاذ العلامة عيسى افندي اسكندر المعارف من انه رأى بيد شاكر شقير مسودة المقال ذاته ، وان شاكرًا المذكور نسب هذا المقال لنفسه^{١١} . ولا يخفى ان المعلم بطرس البستاني توفي قبل اكمال المجلد السابع من دائرته ، وان اولاده تولوا العمل بعده واكملوا المشروع الى نهاية المجلد الحادي عشر^{١٢} . ثم ورد شي . عن مؤرخنا ايضاً في تاريخ الرهبانية الانطونية المارونية ، وهو للاب عمانوئيل البغداتي الذي توفي منذ عهد قريب .

قد اتانا الان سرغمين على الاكتفاء . بهذه الروايات المتقطعة الضئيلة ، محاولين الى حد ما ازالة هذا الاضطراب من بعضها ، حتى نتسكن من نسجها وتقديما للجمهور بصورة كاملة .

ونحن ، وان جرحنا بعض هذه الشهادات ، لا يفوتنا في الوقت ذاته أن ما ورد في كتاب الامير من الاشارة الى نفسه هو على جانب من الاهمية ، اذ انه على الاقل كلام المؤلف عن نفسه . وكذلك ما ورد في كتاب « الساق على الساق » فانه لاحد كتاب الأمير المؤرخ ، ان لم نقل لمدرسه في التأليف ، كما اشار الى ذلك جرجي زيدان في مجلة الهلال^{١٣} . ولا يخفى ما لكلام شاكر شقير من الاهمية ايضاً اذ انه شريفاً في الاصل قريب من كفرشيا ودير القرقفة ، وقد عرف البلاجي الكبير ، والمعلم بطرس البستاني وغيرهما من معاصري الامير المؤرخ ومعاونيه . ويقول الاب عمانوئيل البغداتي في كتابه المشار اليه آنفاً انه اخذ ما رواه عن الاب يوسف البغداتي الذي تقيد بخدمة الامير الروحية^{١٤} . هذا هو المهم من مصادرنا فلنرجع الآن الى الامير وترجمته .

١١ تخصص شاكر شقير لجمع المراتب المرية لدائرة البارف البستانية ، ولهذا نرى تحت اسمه ، في بعض كتبه المطبوعة ، هذه العبارة : «المساعد في دائرة المعارف المرية» ، كما حقق الاستاذ الملوف .

١٢ اطلب تاريخ ظهور هذه الاجزاء على ديباجاتها ، وراجع تاريخ سورية للطران يوسف الدبس ٢ : ٧٣٤-٧٣٥ .

١٣ مجلة الهلال ١٠ : ٦٦ ١٤ تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٣

ترجمة الامير

نسبه ووطنه

هو الامير حيدر ابن الامير احمد ابن الامير حيدر الشهابي الحاكم المشهور^(١) وُلِدَ في ٢١ شباط سنة ١٧٦١ (١١٧٤ هـ) في دير القمر على الاربع ، ار في قرية المعاصر التحا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين ، في جوار دير القمر^(٢) . وتوفي في دير القرقفة سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)^(٣) . وكان في حياته كثير التنقل في انحاء لبنان تارةً . يقيم في دير القمر ، وطوراً يجول في مياطير الشوف والمتن ، اذ كان يكلفه الامير بشير الكبير بعض المهام الادارية والحربية ، او يقوم هو نفسه بشؤون سياسية كان من شأنها ، على النجالب ، ان تؤزل الى الخير العام واصلاح ذات البين بين الامير ومن كان يفض عليه من رجالات البلاد ، كما سيأتي . اما مركزه فكان قرية شلان ، ولا تزال فيها آثار داره . وفي سنة الاخيرة كان يقضي فصل الشتاء في دير القرقفة في كفرشيا ، حيث كان قد بنى جناحاً خاصاً لكتابه ، على ان يعود للدير بعد وفاته . وهكذا كان .

ابتازة

رُزِقَ الامير خمسة اولاد ذكور توفروا صفاراً فدفنهم في شلان في قبة بناها لهم لا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ، وعي في اعلى القرية ، بالقرب من طريق العربات . وقد اشار في تاريخه الى ابنة له كان قد خطبها الامير سعد الدين ابن الامير يوسف الشهابي فتمه الامير بشير الثاني عن الزواج بها ، وزفها الى ابنه الامير امين^(٤) . ويقول بعض العارفين اليوم ان والدة الامير عباس كنج كانت احدي بنات الامير حيدر ايضاً .

(١) Fleischer, *Über das syrische Fürstenhaus der Banu Schibab*. [Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft V, 46-59.]

(٢) اطلب في ذلك تاريخ الامير قسه ، ص ٥٤ من طبعتا . « والجواب على اقتراح الاحباب » للدكتور ميخائيل مشاقه - مخطوطة جامعة بيروت الاميركية ، ص ٢٥

(٣) اخبار الاعيان للشيخ طحوس الشدياق ، ص ٦٢

(٤) نيسى اسكندر الملقوف: الامير حيدر الشهابي - في مجلة « الكلية » ١١ : ٢٢٢-٢٢٤

اخلاقه وصفاته

وكان ، على ما يظهر من كلام الشيخ طنوس للشدياق ، ابيض اللون ، جميل الوجه ، طويل القامة ، عبل الجسم^١ . وبشهادة خصمه ، كان « حلياً يحب السلم والدعة »^٢ . ويقول شاكر شقير انه كان كريماً وقوراً محبوباً من الناس ، ومحباً للفقراء^٣ . ويظهر من القمم الاكبر من المصادر انه كان دينياً تقياً متمسكاً بذهبه الماروني ، محباً للربان والاكليروس . فقد ورد في «الساق على الساق» انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو :

وذنوا لنا الدنيا وهم يرضونها افابيقى حتى ما تندل لنا ثمن

« فظن انه تعريضٌ بهم وتلميحٌ اليهم ، فأمر باحراقه فأحرق وذري رماده . »^٤ وورد ايضاً في الكتاب نفسه ان الامير رأى يوماً آخر بيتين من الشعر فيها تعرض للربان ، « فأمر ايضاً باحراق الكتاب ، وبعث جواسيس في البلد يتجسسون عن مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ألا من دل على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى احسن الجزاء . » ويرقى الى رتبة سنية .^٥

وبما نقله لنا الاب عمانويل البعبداتي ، عن معلم ذمة الامير المؤرخ ، ان الامير حيدر لم يكن يفتر عن سماع القداس يوماً ؛ وانه كان يسمع القداس الالهي يوماً ما ، ولدى انتهائه بُدئ بقداس آخر ، فثبت الامير يسمع القداس الثاني . وعند نهايته خرج من الكنيسة ، فاعترضه اميرٌ من اقاربه قائلاً : ألا يكفي قداس واحد ، والكنيسة قأمر باستماع القداس نهار الاحد والعيد الواجبة بطالته ؟ فاجابه الامير بانسه ودعة : ان الكنيسة أمرت كما قلت لكنها لم تنه عن استماع القداس كل يوم من كان في امكانه تتيم هذه العبادة . ثم اجابه عن استماعه قداسين بما نصه : « اذا كنت يا صاح في الصيد ، واتاك رفٌ حجل فاقتنعه ، ثم اتاك رفٌ آخر ألا تقتنعه ؟ فكم احرى اننا

١) اخبار الاعيان ، ص ٦٣ . ولعل الفارباقي اورد كلمة « أخزقة » في وصف

الامير حيدر لمجرد الذم فقط . (الساق على الساق (طبعة اوروية) ، ص ٢٧)

٢) الساق على الساق ، ص ٢٧ ايضاً .

٣) البستاني : دائرة المعارف ، ج ١٠ : الغال « شهاب : الامير حيدر احمد »

٤) الساق على الساق ، ص ٢٩

نعتاد الكنوز الثمينة بواسطة حضورنا القداس الالهي الذي منه نكتب كثيراً لا يفنى .^{١١}

وقد اشتهر مؤرخنا بإنفاقه على الرهبان ووقفه الاملاك الكثيرة لهم . وهذا أمر تاريخي ثابت بدليل الصكوك الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم في بعض الاديرة اللبنانية كدير السيدة في شلان ، ودير مار جرجس الشير في بكين ، ودير مار انطونيوس القرقفة في كفرشيا ، ومقر البطريكية المارونية في بكيري . وجاء في تاريخ الرهبانية الانطونية المشار اليه آنفاً انه وقف لدير الشير اوقافاً جزيلة من حملتها قنديل كبير من الذهب الخالص ، وانه وقف كرم زيتون لاجل مصروف هذا القنديل . ولا يزال رهبان هذا الدير مع رئيسهم العام يكررون الترحم عليه حتى الساعة هذه . وبما يثبت تدنيه ويدون تقواه وحيثه الاخيرة ، والمفاوضات الاكليريكية التي تبودلت بشأنها والتي لا تزال محفوظة في خزانة البطريكية المارونية الى يومنا هذا . ويظهر من الوصية وتوابعها انه اراد ان يموت في حضن الكنيسة المارونية التي عاش وتربى في ايمانها ، وانه ارصى بان يورث عن نفسه مائة وخمسون الف قرش على جميع الطوائف الكاثوليكية شرقيّة كانت ام غربيّة .

مواجهه الادارية والسبابة

وكان محباً للسلام رفيقاً بالجميع . فالمعترون من شلان اليوم يقولون ان للصلاحية قدماً له شلان جزاءً توسطه في أمرهم ونجاحه في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم . وهو الذي شفع للأمير عباس ، وتوسل بالامير فاعور والإمير أمين علي لدى الامير الكبير . وبما يتضح من مطالعة تاريخه وكتاب «اخبار الاعيان» للشيخ طنوس الشدياق انه انتدب مراراً للاعمال السبابة والادارية والحربية . مثال ذلك انه أرسل سنة ١٧٩٠ الى قرية كفرسلوان لاحراق منازل بني حاطوم^{١٢} . ويقول هو عن نفسه انه لما رُئي مباشرة الشوف سنة ١٧٩٤ أظهر في تلك الظروف الحرجة من الدراية والحكمة ما

(١) الاب عمانوئيل الببداني : تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٤-٤٢٣

(٢) اطلب تاريخه ، ص ١٦١ من طبعتنا

استوجب له ثناء الجميع ، فقيل : « لو كان غير هذا الامير في مباشرة الشرف لكان ثلاثي واضمحلت من افراط الظلم والجرائم لكن الامير المذكور اوتى اناس كثيرين وحفظ عدة مواضع وذلك لهمه الوفيه ومناقبه الحميده . »^(١) وقد اشار ايضاً في تاريخه هذا الى موافقه الحربية في قب الياس وساحل بيروت وغيرها . ولما فرّ الامير بشير اولاً الى عكار ، وثانياً الى حوران ، كان مؤزخنا برفقته . ولعلّ شاكر شقير مصيب حين يقول ان الامير المؤزخ لم يكن له طمع في الجاه ، وانه انتخب مراراً للولاية فرفض وآثر بقاء الامير بشير^(٢) . وفي زجلية طويلة ، محفظة لسدى الاستاذ المملوف ، في حروب الامير بشير ، لابي ابراهيم درويش بن مرعي القاري ، قوله :

وبعد هذا صارت الحركة تريد قالوا « ابو سدى » حاكم لا يزيد
قالوا ننتخب لنا حاكم جديد فنادوا باسم الامير حيدر شهاب

هذا ومن يُتَدَبّ لاعمال ادارية سياسية حربية ، ويُتَخَبّ مراراً للولاية فيرفض ، يُتَبَعْد ان يكون « على جانب عظيم من التغلغل » ، كما يقول احمد فارس في كتابه المشار اليه آنفاً^(٣) .

بعض ملاحه - ولله بالتاريخ

كان الامير حيدر مولماً بالصيد ومقاتلة الاديالك ، وبالتاريخ . فالاستاذ المملوف يقول ان معتري شلان وغيرها الذين عاصروا الامير حيدر رروا انه كان مولماً بالصيد متفرغاً له^(٤) . وقد حدثنا جرجس بك صفا قال : « اخبرني رستم باز قال : كنت منذ حدثتي مولماً بتربية اللجاج ومقاتلة الاديالك . وكان مولماً مثلي بهذين الامرين الامير حيدر احمد الشهابي . فكنت اجلب ادياكي من دير القصر الى شلان لاجل مقاتلة الاديالك . فيوم اربع ويوم اخسر . »

واكبر دليل على ولعه بالتاريخ اثره هذا الذي نغني بنشره الآن وسنقول عنه كلمة في العدد القادم

(١) اطلب ذلك في الصفحة ١٧٨ من طبعنا

(٢) البستاني : دائرة المعارف : المقال قه

(٣) السابق على السابق ، ص ٢٧-٢٨

(٤) عيسى اسكندر المملوف : الامير حيدر احمد الشهابي - في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٢